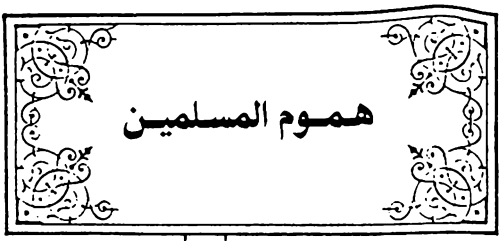

من رسالة إلى الشيخ بيوض يقول عن ميزاب: «إن صورة المجتمع الذي شهدته تقي وتماسكاً، صلاحاً وتفتحاً، رقّة وبعد نظر، من الصور التي ستعايشني ما دمت واحداً من الجماعة الإسلامية الكبرى التي تنظر إلى غد مشرق يحيى فيه المسلمون كما ولدوا إخوة يفضلون الجماعات الأخرى، ويتفاضلون فيما بينهم بمقياس واحد هو التقوى...».

هـمـوم المسـلميـن (1)

رسالة إلى الإمام الشيخ بيوض
بقلم : الدكتور شكري فيصل (رحمه الله)

السيد الأستاذ الجليل العالم العامل الشيخ بيوض إبراهيم حفظه الله وأفاء عليه نعمة التوفيق السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فقد عدت إلى الجزائر العاصمة من الجزائر الواحات تمتلىء النفس بالذي لقيت وشهدت وسمعت وأحسست أن كل شيء حولي يثيرني ويغنيني وينمي كل عاطفة خير عندي ويبعث الومضة تلو الومضة في ذهني ... ولم أكن خلال هذا الأسبوع في الحاضر وحده ولكني كنت أتراوح هذا التراوح البعيد بين الماضي والحاضر والمستقبل .

أن صورة المجتمع الذي شهدته تقي وتماسكا ، صلاحا وتفتحًا ، رقة وبعد نظر من الصور التي ستعايشني مادمت واحدا من الجماعة

---

(1)الدكتور شكري فيصل (رحمه الله) سوري من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر ، أديب من أساتذة الجيل . مشهور بمؤلفاته النقدية ، والتراثية . درّس في جامعات عربية كثيرة . توفي في خريف 1987 .

الإسلامية الكبرى التي تنظر إلى غد مشرق يحيى فيه المسلمون كما ولدوا إخوة يفضلون الجماعات الأخرى ويتفاضلون فيما بينهم بمقياس واحد هو التقوى .

أن هذه الرسالة القصيرة لا تتسع للتعبير عما يملؤني ... فقد عشت معكم وبينكم كما لو كنت واحدًا منكم أو كنتم بعضا من دنياي العريضة الفاضلة التي أتطلع إليها ... وكانت الرعاية التي راعيتموني بها نموذجا للخلق الاسلامي الرفيع الذي يجد في المسلم أخاه ، وكانت الأحاديث التي أسمعتمونيها نموذجًا للفكر الاسلامي المتطلع الذي يريد أن ينفتح على كل ما حوله ليستوعب كل ما حوله ... وكانت هموم الحياة التي وجدت أنها تستبد بكم نموذجا لهموم الحياة الاسلامية التي تريد أن يكون لها في كل المجالات : زراعة وصناعة وتجارة أوفى نصيب ... وكان القلق الذي يغشاكم وأنتم تنظرون حالة المجتمع الاسلامي هو القلق المنتج الخصب الذي يتخذ من فساد الواقع منطلق قوة لا منطلق بأس .

وأشهد لقد كان كل ذلك غذاء يمدني بالقوة ويسعفني بالأمل ويفتح لي على طريق المستقبل أعرض النوافذ وإذا كان لمثل هذه اللقاءات من فائدة فذلك حين تجاوز اللقاء إلى الصلة ، والأستماع إلى الوعي ، والفكرة الواحدة إلى الفكرة المتكاملة ، والأفق المنفرد إلى الأفق المشترك .

وذلك هو الذي كان عندي من أثر . من أكبر الأثر . وفي هذه الأيام التي سعدت فيها بالاجتماع اليكم ... وذلك هو الذي يدفع لي ، وقد عدت ، أن أجلس فأكتب إليكم .

وكان من الحق أن أكتب إليكم من قبل شاكرًا ... ولكني أحس

أن كلمات الشكر دون أن تستطيع الوفاء بالذي أحب أن أقول ... فلأدع ذلك ليكون حديث القلب إلى القلب همسا من غير جهر ومناجاة من غير تقييد ويبدو لي أني أستطيع أن أدير حديثي حول نقاط أربع .

أن هذه النقاط تنبع من اعتقادنا جميعًا بأن الإسلام المعاصر - أعني إسلام المعاصرين - يعاني أزمات حادة منشؤها هذا التطور الضخم الذي تعانيه الجماعة الاسلامية : وهذه الأفكار الكثيرة الجديدة تداخلها حينًا وتغزوها حينًا وتفرض عليها في حين ثالث ... وأن الإسلام والمسلمين مناهم في كثير من الممرات هدف هجوم حاد لا يمكن أن ينال بعضهم وأن يعف عن بعض آخر ... وأن الجماعات الصغرى لا تملك مهما تؤت من براعة الذهن وشدة التماسك وقوة المحافظة أن تبقى وحدها وبخاصة في هذه الفترات من تاريخ العالم التي يطال فيها كل شيء كل شيء والتي تتخلل فيها التأثيرات كل طبقة وتنفذ من كل المسامات وتركب الهواء والرياح والأثير والفضاء إلى أعمق أعماق الدنيا .

والمسلمون جميعًا أمة واحدة من دون الناس ... ولأنهم كذلك فان أبرز ما يميزهم أن تكون حركتهم واحدة وأن تكون وجهتهم واحدة على نحو ما هي قبلتهم واحدة كذلك ولذا يبدو وضروريًا أن يكون دفاعهم واحدا ضد هذه الهجمات المستشرية .

1 - نحو فكر اسلامي غني مكين

والذي يهاجمون به الآن ليس الاستكبار كما في أيام مكّة ولا النفاق كما في أيام المدينة ولا الحرب كما كان شأن الصليبيين وأنما هو

إفساد العقيدة لا بالعقائد السابقة القديمة كما حدث في أيام العباسيين وإنما بالثقافة الجديدة التي تتصل بالحياة والغذاء والرفاهية وتتلبس بالانسانية والتحرر ... وأعني - بإيجاز - التي تجمع بين المثل والواقع .

فكيف يستطيع المسلمون أن يثبتوا لهذا ؟

أن عقيدتنا لا تتزلزل في أننا نستطيع ذلك ... ولكننا من أجل أن نواجه هذه الأخطار الفكرية لا بد لنا من تفهمها أولا لتكون مواجتها بفكر مماثل أو بفكر أغنى ... لا بد من أن تكون (أو يكون جماعة منا) على صلة بكل التيارات المعاصرة وأن تكون في ذات الوقت على صلة بكل ما في الاسلام من حقائق حتى تستطيع أن تنهض بهذه المهمة .

وأكثر المسلمين اليوم - والأسف يحزنا - لا يجمعون بين هذين : بين من يعرف الاسلام معرفة دقيقة وبين من يعرف الفكر المعاصر معرفة دقيقة ... وندرة نادرة أولئك الذين يستطيعون أن يكونوا «القوى الأمين» الذي أشار إليه القرآن الكريم .

أفليس من الضروري إذن أن تتفرغ جماعة من مفكرين لهذا ؟ أليس ذلك فرض عين نأثم جميعا في أهماله إلا أن ينقدنا من ينهض به ليرفع هذا الإثم ؟

هنالك محاولات فكرية كثيرة خلال نصف القرن الأخير ... ولكنها موزعة مشتتة ... هذا أولا ... والسلاح الفكري متجدد دائما وهذا ثانيا ... ثم ليس هو سلاح الأفكار المادية ولكن سلاح الكنيسة التي تحاول بناء فكر جديد ... فلا بد أذن من أن ينفرد بعض المسلمين لهذا ما دام هذا الفكر لا يتسرب إلى مجتمعاتنا تسربا

وأنما يهاجمها هجومًا .

هل نوفق اذن إلى : افراد جماعة من الشبان النابهين إلى الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية يعدون اعدادًا سلاميًا متميزًا في الدراسة الثانوية وفي سنة بعدها أو سنتين يحملون على اتقان لغتين أجنبيتين من ثلاث (الانجليزية ، الفرنسية ، الروسية) ويبدأون مرحلة الليسانس في بلد عربي ثم مرحلة الدكتوراة في واحد من هذه البلاد ثم ينتظر ما يكون منهم من خير بأذن الله ؟

الفكر المعاصر ياسيدي ذلك هو الذي يجابه بفكر مثله ... ولعل ذلك أن يكون من ثمرات حركة الاصلاح التي تقومون عليها ومعهد الحياة الذي تريدون أن يكون أبناؤه للحياة .

2 - المشاركة في أعمال الفداء

المسلمون اليوم في فلسطين على أبواب كارثة أن هم تخاذلوا وعلى عتبة النصر أن هم اتحدوا وقد انتهى الرأي إلى عمل الجماعات لا إلى عمل الحكومات بعد سلسلة من التجارب المرة ومعنى ذلك أن الأمر نتهى إلى الجهاد المنظم ولا بد لنا من أن نعطي هذا الجهاد لونه لاسلامي . وإذا كانت الحكومات لأسباب واضحة أو خفية لا نستطيع أن تعمل باسم الاسلام - تقية أو الحاد - فأن من واجب لمسلمين أن يعملوا باسم الاسلام وجده .

أن أثر ذلك في مستقبل حياتنا أثر شديد ... أن الأجيال المقبلة ستقول أن تحرير فلسطين تم باسم الدين وحينئذ يكون لهذا الدين مكانه في المجتمع الجديد أما إذا كان التحرير بهذه الأسماء الجديدة فأن

ذلك سيد ظله على المستقبل وقد يؤدي إلى طمس الهوية الحقيقية لهذا الجهاد .

من هنا أتمنى أن يفتح باب التطوع لهذا الغذاء في الجماعة في صفوف حركة التحرير حتى يكون للمتطوعين أثرهم فيما قبل المعركة وفي المعركة وفيما بعدها .

3 - التبشير الاسلامي في افريقية

موضوع الإسلام في افريقية يوشك أن يكون أحد الأهداف الأساسية في السياسة العالمية ولست أفيض في ذلك وحسبي أن أشير إلى أن الاسلام الأسود هو الذي يخيف الدوائر الأجنبية كلها علمانية ومدنية شرقية وغربية أوربية وأمريكية ، كاثلوكية وبروتستانتية ولذلك تبذل جهود لا حصر لها لمحاربته في أفريقية والسياسات الأخيرة في القارة ـ السودان الجنوبي وحركة الانفصال والتبشير الحبشة مع مسلميها ومع إرتيريا والصومال - السينغال وسنغور - بيافرا ونيجريا - مقتل الزعيم النجيري أحمد ـ وجه من وجوه الحرب مع الاسلام وأهله ومحاولة لحصر الاسلام في شمال الصحراء الكبرى مع محاربته في هذا الشمال .

ولذلك يذهب كثيرون إلى أن وجه المستقبل العالمي سيكون في أفريقية ومما يكون من صراع المسيحية والاسلام فيها أذ لا تزال هناك ملايين عشرة أو خمسة عشرة في وثنية لابد أن تنتهي بعدها إلى دين .

وحسبكم في تصوير قوة هذا الصراع أن تضطر الكنيسة لأول مرة في تاريخها الى اباحة تعدد الزوجات في أفريقيا تيسيراً لمهامها

الأساسية .

فهل من الممكن أن تتخذ بعض الجهود في ذلك : نعد جماعة من الطلبة المؤمنين لهذا اعداداً (يكن تفصيل الحديث فيه) وننذر أو تنذر نفسها لهذه المهمة التي لا يقدر أثرها وخطرها .

4 - التراث المحفوظ في وادي ميزاب

يكثر الحديث عن هذا التراث ويتوزع هنا وهناك وبعضه قيم كبير القيمة وبعضه لا قيمة كبيرة له .. ولا بد من الالتفات إليه : جمعا ثم دراسة ثم فهرسة ثم اختيارًا لنشر ما ينشر منه .

وقد يكون ترك ذلك للصدف مؤثراً في تأجيل الاستفادة منه وأعني كذلك أن يتفرغ له بعض من هم أهل له ، وهم كُثر ..

هذا يا سيدي بعض ملاحظات .. أنا جد واثق من أنكم قبل كل انسان آخر على ذكر منها ومعاناة لها ... انكم ما كنتم بحال في حاجة إلى من يتحد إليكم عنها. . . وإنما استجزت ذلك تعبيرًا عن هذه المشاركة التي يحس بها المرء ، وعرفانا لرعايتكم واستجابة إلى الآية الكريمة التي تجعل من الذكرى فرضاً في قوله تعالى : فذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين . ولكن أكنتم من ذلك دائما الا على ذكر ويقظة وتنبيه ! ؟ ..

أني أعرف أن سعة افقكم وامتداد نظرتكم تجعل هذا الحديث وكأنه لغو أو نافلة ... ولكني أحسست مع ذلك أني مدفوع اليه على أنه تحية ومشاركة .

وحين لا يجد الانسان الخيل والمال يهديها ... ولا يجد مجال القول الذي استطاعه المتنبي في قوله

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق أن لم تسعد الحال

فماذا يفعل الا أن يدعو لنفسه أن يهديه الله .

وأرجو بعد أن تتقبلوا مرة أخرى خالص شكري لكم وللأخوان جميعًا : للذين احتفوا وللذين أطرفوا وللذين تعبوا وللذين استضافوا وللذين عرّفوا وعلّموا ولا أشك في أني سأحتفظ بأطيب الذكريات لكل الوجوه التي عرفت والأمكنة التي زرت .

وأول دعوانا أن يجمع الله كلمة المسلمين على الحق والخير والعمل المشترك وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الجزائر : الخميس 1389/1/23 هـ
1969/4/10 م

شكري فيصل